عندما تتواجه قَطْرة الإرادة وجليد الإعاقة ... من المنتصر؟

علاء بدر

ذات يوم، أطلق نابليون هيل مقولته الشهيرة بقوله: عادة ما يتحقق الإنجاز العظيم بعد تضحية عظيمة

لقد ظل الناس يعتقدون لمئات السنين أنه من غير الممكن جسمانيًا أن يجري إنسان ميلاً كاملاً في أقل من أربع دقائق، بل أعلن المدرب البريطاني في أوليمبياد 1903م أن الرقم القياسي لمسافة الميل هو 4 دقائق و12.75ثانية، وأنه لا يُمكن تحطيمه.

في نفس الوقت، جاء ذلك الرياضي الذي يُدعى روجر بانيستر، والذي ظن في نفسه جازماً أنه يستطع تحطيم الرقم القياسي وكسر حاجز الأربع دقائق، وفي 6 مايو 1952م استطاع تحقيق ذلك، وكان قوله بعد ذلك: (كنت واثقًا أنني أستطيع جري الميل في أربع دقائق)، والعجيب أنه في خلال ثلاثين يوماً من تحطيم بانيستر لحاجز الأربع دقائق تمكن 32 رجلاً آخراً من تحطيمه أيضاً، وفي خلال عام واحد تمكن 317 من تحقيق نفس الهدف، وقد تمكن العداء النيوزليندي جون واكر من تحطيم حاجز الدقائق الأربع 120مرة، واليوم نجد أن تلاميذ المدارس الثانوية يكسرون حاجز الأربع دقائق للميل.

فإن سر النجاح يكمن في تحطيم وهم ترسخ في عقول الكثيرين بحتمية الفشل، فها هو بطل رياضي يكسر حاجز الوهم بحتمية الفشل الذي ظنه الناس حقيقة، بعد أن استنهض عملاقه الداخلي.

فالتغيير الأهم الذي مكّن روجر من تحطيم الأرقام القياسية، بدأ من الداخل، من يقينه بقدرته على ذلك، تماماً كما يقول مايكل كوردا: (لكي ننجح، يجب علينا أولاً أن نؤمن أنه بمقدورنا تحقيق النجاح)، وتذكر دائماً أنه ليس للتغيير عصا سحرية، وأن السماء التي لا تُمطر ذهبا، وبالتأكيد لن تُمطر تغييراً.

وهنا قد تبرز شماعة الظروف، التي يُحبّذ البعض منا تعليق أسباب تأخرهم عن ركب الفاعلية عليها، فتضيع طاقتهم في النقد، وإلقاء التبعة على الآخرين، ناسين أو متناسين القاعدة المهمة التي تعلمنها في مقدمة رحلتنا أن التكليف فردي.

وتأمل أيها الهمام كيف يُحوّل أهل الهمم العالية الظروف القاسية إلى طاقة تدفع إلى النجاح، فلا يعيشون بين قضبان الظروف أو يضيعون أوقاتهم في نقدها، تمامًا كحال ذلك الصقر الفريد.

ففي يوم من الأيام، وبينما كان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بين حاشيته قال لهم: (أخبروني من صقر قريش من الملوك؟)، قالوا: (ذاك أمير المؤمنين الذي راض الملوك، وسكن الزلازل، وأباد الأعداء، وحسم الأدواء)، قال: ما قلتم شيئاً، قالوا: فمعاوية، قال: ولا هذا، قالوا: فعبد الملك بن مروان، قال: ما قلتم شيئًا، قالوا: يا أمير المؤمنين، فمن هو؟، قال: صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية، الذي عبر البحر، وقطع القفر، ودخل بلدًا أعجميًا مفردًا، فمصّر الأمصار، وجند الأجناد، ودوّن الدواوين، وأقام مُلكاً عظيماً بعد انقطاعه، بحسن تدبيره وشدة شكيمته، فهل كان طريق الصقر مُمَهدا؟ يجيبكم التاريخ على ذلك، فقد دخل الأندلس وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره، مُطارد من العباسيين في المشرق، ومن الخوارج في المغرب، الكل يريد رأسه، فبات وحيدًا إلا من عون الله وتوفيقه، ثم شدة بأس، وعزيمة نفس، لا تقف أمامها الصعاب، ولا تذوب في عضدها الظروف، ومع كل ذلك ينجح بفضل الله تعالى في الوصول إلى الأندلس وتكوين جيش مقاتل، يؤسس به أركان الخلافة الأموية الأندلسية.

ثم دخل عبد الرحمن بن معاوية إلى قرطبة فصلى بالناس وخطب فيهم، فكان ذلك بمثابة إعلان ميلاد الدولة الأموية في الأندلس، وبويع له بالخلافة في (10 من ذي الحجة 138هـ / 18 من مايو 756م)، ليصبح أول أموي يدخل الأندلس حاكماً، ويُطلق عليه ذلك اللقب الذي عُرف به "عبد الرحمن الداخل"، مؤسس تلك الدَولة الفتية، التي أصبحت حضارتها منبعًا لحضارة أوروبا الحديثة، وظلت منارًا للعلم والمدنية عبر قرون طويلة من الزمان.

إن الإعاقة طاقة للتغيير وبهذه الجملة يمكننا أن نصف حياة تلك المرأة المعجزة، إنها هيلين كيلر، عدوة الإعاقة، المرأة التي وُلدَت في مدينة (تسكمبيا) من ولاية (ألاباما) بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1880م، وقبل أن تبلغ الثانية من عمرها أصيبت بمرض أفقدها السمع والبصر، وبالتالي عجزت عن الكلام لانعدام السمع.

سعت والدتها إلى تعليمها استعمال يديها في عمل إشارات تفصح بها جزئياً عما تود قوله، ثم وضعتها في معهد لفاقدي البصر، وطلبت من رئيس القسم أن يرشدها إلى معلمة لبنتها، فأرشدها إلى (آن سوليفان) التي كانت قد أصيبت أول عمرها بمرض أفقدها بصرها، ودخلت هذا المعهد في الرابعة عشرة من عمرها.

وبعد حين عاد إليها بصرها جزئياً، وقد التقت بعد انتهاء دراستها بهيلين كيلر لتبدأ معها رحلة طويلة مثيرة هي أشبه بالأعجوبة، وتمثل في الحقيقة أروع إنجاز تم في حق تأهيل المعوقين.

رحبت أسرة كيلر بالمعلمة سوليفان ترحيباً حارًا، وكانت هيلين آنذاك تبلغ من العمر ستة أعوام، بدأت سوليفان تعلمها الحروف الأبجدية بكتابتها على كفها بأصابعها، واستعملت كذلك قطعاً من الكرتون عليها أحرف نافرة، كانت هيلين تلمسها بيديها، وتدريجيًا بدأت تؤلف الكلمات والجُمَل بنفسها.

وبعد مرور عام تعلمت هيلين تسع مئة كلمة، واستطاعت كذلك دراسة الجغرافيا بواسطة خرائط صُنِعَت على أرض الحديقة كما درست علم النبات، وفي سن العاشرة تعلمت هيلين قراءة الأبجدية الخاصة بالمكفوفين، وأصبح بإمكانها الاتصال بالآخرين عن طريقها.

ثم في مرحلة ثانية أخذت سوليفان تلميذتها إلى معلمة قديرة تدعى (سارة فولر) تعمل رئيسة لمعهد (هوارس مان) للصم في بوسطن، وبدأت المعلمة الجديدة مهمة تعليمها الكلام، بوضعها يديها على فمها أثناء حديثها؛ لتحس بدقة طريقة تأليف الكلمات باللسان والشفتين، وانقضت فترة طويلة قبل أن يصبح باستطاعة أحد أن يفهم الأصوات التي كانت هيلين تصدرها.

لم يكن الصوت مفهومًا للجميع في البداية، فبدأت هيلين صراعها من أجل تحسين النطق واللفظ، وأخذت تجهد نفسها بإعادة الكلمات والجمل طوال ساعات، مستخدمة أصابعها؛ لالتقاط اهتزازات حنجرة المدرسة وحركة لسانها وشفتيها وتعبيرات وجهها أثناء الحديث.

وتَحَسّن لفظها وازداد وضوحاً عاماً بعد عام، فيما يُعَد من أعظم الإنجازات الفردية في تاريخ تربية وتأهيل المعوقين.

ولقد أتقنت هيلين الكتابة وكان خطها جميلاً مرتباً، ثم التحقت هيلين بمعهد كمبردج للفتيات، وكانت الآنسة سوليفان ترافقها وتجلس بقربها في الصف لتنقل لها المحاضرات التي كانت تُلْقى، مما مكّنها أن تتخرج من الجامعة عام 1904م حاصلة على بكالوريوس العلوم في سن الرابعة والعشرين.

ذاعت شهرة هيلين كيلر فراحت تنهال عليها الطلبات لإلقاء المحاضرات وكتابة المقالات في الصحف والمجلات، وبعد تخرجها من الجامعة عزمت هيلين على تكريس كل جهودها للعمل من أجل المكفوفين، وشاركت في التعليم وكتابة الكتب، ومحاولة مساعدة هؤلاء المعاقين قدر الإمكان.

ثم دخلت في كلية (رود كليف) لدراسة العلوم العليا، فدرست قواعد وآداب اللغة الإنجليزية، كما درست اللغة الألمانية والفرنسية واللاتينية واليونانية، ثم قفزت قفزة هائلة بحصولها على شهادة الدكتوراه في العلوم والدكتوراه في الفلسفة.

وفي الثلاثينيات من القرن الماضي قامت هيلين بجولات متكررة في مختلف أرجاء العالم في رحلة دعائية لصالح المعوقين؛ للحديث عنهم وجمع الأموال اللازمة لمساعدتهم، كما عملت على إنشاء كلية لتعليم المعوقين وتأهيلهم، وراحت الدرجات الفخرية والأوسمة تتدفق عليها من مختلف البلدان، ألّفت هيلين كتابين، وكانت وفاتها عام 1968م عن ثمانية وثمانين عاماً.

وصدق الشاعر حين قال: هذا الرقيق تراه عند الروع في قلب الأسود

متبسمًا والدهر غضبان يزمجر بالوعيد
فإذا رماه بالخطوب رماه بالعزم الجليد
وإذا دعته الواجبات فحمّلته بما يَئود
وجدتهُ صلب المنكبين فلا يخرُ ولا يميد

إن الأمثلة السابقة تؤكد حقيقة واحدة: أن الإنسان المبادر الإيجابي هو الذي يُشَكّل الظروف، وليست هي التي تُشَكّله، ويبنَي التغيير الذي يريد من داخله، بطريقة متوازنة، كما أنه لا يُستحسن أن ينتظر من يأتيه بالتغيير من الخارج، فلا إفراط ولا تفريط، ومهما بلغت التحديات ذروتها، ومهما تراكمت المصاعب على صاحبها، فهو قادر بإذن الله على تخطيها.

أهمية التكريم في التربية والتعليم

أحمد محمد سعيد

لعل التكريم السنوي الذي يقام في مديريات التربية والتعليم في محافظة عدن يؤدي إلى نتائج مرجوة وطيبة تدفع بالعملية التربوية والتعليمية إلى الأمام وانتشالها من الوضع الحالي والذي بحاجة إلى مراجعة دقيقة وشاملة بهدف التقدم نحو الأفضل ويحذونا الأمل بالنظر إلى قوام وهيكل وزارة التربية والتعليم من أجل التعرف عن كثب على كافة الوسائل المستخدمة إذا كانت مناسبة من حيث الشكل والمضمون.

إن التكريم يمثل أحد أشكال النهوض والنجاح في أي عمل يقدم وخطوة هامة بحد ذاتها يتطلب بالضرورة استغلالها بأعلى درجات المسؤولية والاهتمام ثم توجيهها بما يتناسب والتطورات الجارية في المجتمع ومعرفة حجم الاحتياجات المختلفة التي يشكو منها كل من له علاقة بشؤون الطلاب والمعلمين على السواء باعتبارهم حلقة ضرورية تدور في محور واحد وكل له خصوصياته وطلباته التي ينبغي أن تكون متوفرة دون الحاجة إلى اللهث وراءها في دهاليز ومكاتب الوزارة والمرافق التابعة لها، وحتى يفي المعلم بواجبه الدراسي لابد من توفير المناخ المناسب الذي يعطيه حافزاً لعمله في تقديمه الدروس للطلاب بمختلف مستوياتهم التعليمية مثل ما له حقوق عليه واجبات وهما مسألتان متوازيتان في تحقيق الهدف ورفع المعنويات مع تقديري البالغ لأولئك الجنود المجهولين في السلك التربوي الذين يبذلون جهوداً متواصلة تستحق الشكر والاحترام، إلا أن غياب التخصصات وصعوبة التوصيل بسبب زحمة الطلاب في الصف الواحد الذي يصل إلى أكثر من (60) طالب لاشك أنه سوف يعكس نفسه على بقية الدروس إضافة إلى الغياب الحاصل للمعلم في عدد من المدارس دون محاسبة تذكر وضعف المتابعة من قبل القيادات المشرفة التي لا تراقب تلك الأوضاع ما يساعد على عملية استمرار الغش في الامتحانات النهائية وأصبح واقعاً ملموساً من الصعوبة بمكان السيطرة عليه. وهناك قضايا في جانب من العملية التربوية تتعلق بتأخير الكتاب المدرسي في كل عام إلى ما بعد الدراسة وترميمات داخلية أو خارجية بعد الانتهاء من الإجازة السنوية ما يؤدي إلى تأخير الدراسة وغياب الطلاب دون حسم ومعالجة والتي تتكرر سنوياً، ولا يزال التقصير في تنفيذ الأنشطة الصفية واللاصفية واضحاً للعيان وأن أختلف حجمها ومستوياتها من مدرسة لأخرى حسب نشاط الطاقم التربوي الذي يعمل في هذا الإطار ودرجة تفاعله في حين أن البعض ترك هذا النشاط وإن وجد فهو محدود وينظم على استحياء نتيجة شحة الإمكانيات حيث تحتل أهمية كبيرة في تأهيل أجيال من المواهب المختلفة مثل الأديب والفنان والرسام والشاعر والنحات وغيرهم يعرفها جماعة التربية والتعليم.

وفي إحدى الحفلات بيوم المعلم لهذا العام فقد تشرفت بدعوة إلى الحضور وسعدت كثيراً عندما شاهدت أطفال المستقبل وهم يقدموا استعراضاً للنشيد الوطني رافعين العلم باعتزاز وفخر كبيرين وعدداً من الأغاني الجميلة والرقص الشعبي وغير ذلك من الاستعراضات الفنية المتفرقة بفن وجمال ساحرين تسر النفوس وسط الجموع يذكرنا بأيامنا الحلوة التي مضت، وبقدر ما تمثل هذه المناسبات الحيوية وما رافقها من حفل تكريم المعلمين والمعلمات ظاهرة إيجابية استغرقت سويعات قليلة عبرت عن جهود وطنية في منتهى الإبداع، إلا أن ما يحز في النفس والقلب معاً، إن تلك الاحتفالات التي نظمت في مديريات عدن لم يتم التقاطها من الزاوية التي تجعل من النشاط فيه الكثير من توسيع المشاركة واستيعاب أكبر عدد من الطلاب فيما كان في الماضي الجميل نجد الطالب بعد الدوام المدرسي يذهب إلى مدرسته ليساهم في الأنشطة اللاصفية عن رغبة جامحة وقناعة تامة كونها تلبي طموحاته وتحقق مواهبه أمام الجميع يشكلون خلية نحل وهي عملية متكاملة، لا أن تظل طوال السنة كلها جفاف لا زرع فيها ولا ضرع خالية الوفاض من الأنشطة المتجددة ولكننا للأسف افتقدناها. وهناك مواهب لا تحصى ولا تعد بسبب عدم تنظيمها واستثمارها كما يجب، حيث تغيب البرامج وأصبح الطالب لا يأتي إلى المدرسة إلا مكرهاً نتيجة توسع ظاهرة التسرب وإهمال متابعة الدروس ولولا وجود الحارس أمام بوابة المدرسة لما تبقى طالب واحد داخل الصف بعد الاستراحة الأولى. إذاً المسألة تتطلب اهتمام القيادات التربوية وقليل من الشعور بالمسؤولية تجاه كل قطاع تربوي للقيام بالواجب أمام تلك الأجيال التي تريد رعاية خاصة وصقل مواهبهم بشيء من التفكير والتدبير اللازمين في كل المجالات حتى ينالوا حقوقهم التعليمية بأرقى الأشكال وتنمية ما يصبون إليه من أهداف عديدة ومعنوية عالية فيها الكثير من المعاني والاستحقاقات المطلوبة والأهداف النبيلة وهي بحاجة فقط إلى وقفات جادة تجاه العملية التربوية والتعليمية برمتها وحتى لا تؤثر على عطاء المعلم وضعف الدراسة واستيعاب الطلاب.

اليمن في مؤشر الإرهاب العالمي

د.مراد عبدالغني نعمان

أصدر معهد الاقتصاد والسلام ((IEP)) أول مؤشر عالمي للإرهاب في مارس 2012 ، يقوم بترتيب الدول الأكثر تأثرا بالإرهاب مع تحليل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بها. وأستند ذلك المؤشر على بيانات من قاعدة بيانات الإرهاب العالمي، والتي يتم جمعها وترتيبها من قبل الاتحاد الوطني لدراسة الإرهاب والردود على الإرهاب (START)، ومقره في جامعة ميريلاند. حيث تم جمع عشرات المؤشرات لـ 158 دولة على مدى السنوات العشر الماضية، تضمنت تلك المؤشرات جوانب عديدة مثل تسجيل عدد الحوادث الإرهابية، والوفيات والإصابات والأضرار في الممتلكات والخسائر في العقارات والمنشآت. كما قامت تلك الدراسة بعمل تحليلات للعديد من العوامل الأخرى، ورصد البيانات المتداخلة بين المجموعات الأخرى، وتسجيل تظلمات حقوق الإنسان والمظالم وأعمال الفساد، وأعمال الحكومات التي لها علاقة بالإرهاب.

وفي تلك الدراسة احتلت اليمن الترتيب الخامس في مؤشر الإرهاب العالمي عام 2011 من بين 158 دولة ، حيث احتلت العراق المرتبة الأولى ثم أفغانستان وباكستان والهند على التوالي.

وهنا إذا استثنينا دولة العراق الشقيقة كدولة عربية من مؤشر الإرهاب العالمي، بسبب ظروفه الخاصة الناتجة عن تداعيات الاحتلال الأمريكي، فان اليمن ستتصدر الترتيب بين الدول العربية في هذا المؤشر ولأسباب عديدة أهمها أن بلادنا لا تعاني من ذلك الانقسام الطائفي الحاد الذي خلفه الاحتلال مثل العراق، كما أن جماعات العنف السياسي " الإرهاب" الناشطة في العراق عديدة غير تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين (الممثل الرسمي لتنظيم القاعدة المركزي) يقومون بعمليات العنف الإرهابي مثل تنظيم (داعش) وأنصار السُنة وغيرهم،بعكس تنظيم القاعدة (الجهاد) في جزيرة العرب الذي ينفرد بجميع النشاطات والعمليات دون وجود أي جماعات أخرى و..غيرها من الأسباب، ومع ذلك احتلت اليمن المرتبة الخامسة في مؤشر الإرهاب العالمي أو الترتيب الثاني عربيا بمجموع 265 عملية خلفت 887 قتيل خلال السنوات العشر الأخيرة حسب بيانات ذلك المؤشر من العام 2002 وحتى نهاية العام 2011.

أن هذه المؤشرات أو نتائج هذه الدراسة تم نشرها في مارس2012، ولم تصدر أي مؤشرات للإرهاب العالمي حول العمليات الإرهابية وأعداد الوفيات للأعوام 2012 و2013 حتى الآن.

حسنا، ماذا إذا حاولنا دفع هذا النقاش إلى الأمام قليلا وتساءلنا : أين سيقع ترتيب اليمن بين الدول الأكثر تأثرا بالإرهاب في مؤشر الإرهاب العالمي القادم خلال الأعوام من 2012 حتى 2014؟ وهل يمكن أن تحتل المرتبة الأولى ؟ نخشى أن الإجابة ستكون نعم ، وذلك إذا ما استثنينا دولة العراق فقط.

أن المؤشرات الإحصائية الخاصة بأعداد الضحايا وعمليات العنف التي وقعت في اليمن خلال الأعوام 2012 و2013 و2014 تسمح لنا للذهاب بالقول بتصدر اليمن قائمة الإرهاب العالمي القادمة خلال هذه السنوات الثلاث.

فللمصادفة أن شهر مارس من العام 2012 أي العام الذي نُشرت فيه نتائج دراسة مؤشر الإرهاب العالمي، كان أيضا بداية لمرحلة جديدة من تاريخ العنف السياسي "الإرهاب" شهدته الدولة اليمنية من ناحية وشهده تنظيم القاعدة في اليمن من ناحية أخرى. حيث تعيش اليمن ولا تزال منذ تلك الفترة أسوأ فترة تاريخية في العنف السياسي "الإرهاب" منذ تاريخها القديم وحتى الآن، وكذلك الحال مع تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب الذي نشط بصورة محمومة لا سابق لها في تاريخه منذ هذا التاريخ وحتى يومنا هذا. ولربما انه قام بأكثر من نصف عدد العمليات وخلف أكبر عدد من الوفيات أكثر مما قام به خلال السنوات العشر السابقة التي أحصاها مؤشر الإرهاب العالمي، كما أنه خسر أكبر عدد من أفراده خلال تلك الفترة سواء عن طريق المواجهة مع قوات الجيش أو بعمليات الاستهداف بالصواريخ أو بالطائرات بدون طيار (الدرونز) التي تكاد لا تتوقف منذ العام 2002 وحتى الآن، وتم في هذا العام وتحديدا في ابريل 2002 تصنيف اليمن ك (منطقة قتال) إلى جانب أفغانستان حسب مكتب التحقيقات الاستقصائية البريطاني.

لقد بدأ تنظيم القاعدة في اليمن تاريخه هذا بنشاط محموم منذ الربع الأول من العام 2012 وتحديدا في الثاني من مارس منه عندما استهدف أحد الضباط الكبار في مدينة (لودر) بعبوة ناسفة،وفي ثاني يوم أي الثالث من مارس قام التنظيم بتنفيذ ثلاث عمليات في نفس اليوم،في العملية الأولى تم استهداف مقر قيادة الحرس الجمهوري في محافظة البيضاء بعملية استشهادية بسيارة مفخخة تم تدمير المقر بالكامل وقتل معظم من كان فيه، وفي العملية الثانية تم تفجير ثلاث عبوات ناسفة موجهة استهدفت معسكر الأمن المركزي في منطقة (بويش) بالمكلا،وفي العملية الثالثة من نفس اليوم تم استهداف مدير أمن شبام حضرموت رميا بالرصاص. وأما يوم الرابع من مارس فكان اليوم الأكثر دموية حيث قام التنظيم بعملية هجومية لم يسبق له أن نفذ مثلها في تاريخه بل لم ينفذ أي فرع من فروع تنظيم القاعدة مثلها، فقد تم استهداف معسكر اللواء 201 بمنطقة (دوفس) في أبين بعملية استشهادية بسيارة مفخخة أعقبها هجوم مسلح من عناصره، نجحوا خلاله في احتلال المعسكر والسيطرة عليه والاستيلاء على كمية كبيرة من العتاد، ووقوع نحو73 من الضباط والجنود أسرى بأيديهم،وأما القتلى في هذه العملية فيقتربون من 200 قتيل قضى بعضهم ذبحا.

وعقب تلك العملية الدامية قام الجيش اليمني بحملة تطهير ضد الجماعات (الجهادية) التي احتلت أجزاء كبيرة من محافظة أبين وضواحيها،واستمرت قرابة الشهرين، وعُرفت تلك الحملة بعملية (السيوف الذهبية). وذكرت بعض التقارير المحلية والأجنبية بأنه سقط أكثر من 500 قتيل بين الجنود وأفراد اللجان الشعبية وما يقترب من هذا العدد في صفوف أفراد التنظيم خلال تلك المواجهات بين الطرفين. وتُعد تلك الحملة العسكرية التي قامت بها القوات المسلحة هي الأولى من نوعها في تاريخها، وهي أيضا الحملة النوعية الأولى على مستوى دول المنطقة العربية ضد هذا التنظيم العالمي.

وهكذا فأنه خلال الربع الأول من العام 2012 فقط بلغ عدد القتلى الذين قضوا في هجمات تنظيم القاعدة ما يقترب من عدد القتلى الذين تم إحصاؤهم خلال فترة السنوات العشر الماضية حسب مؤشر الإرهاب العالمي من نشاط تنظيم القاعدة في اليمن منذ 2002 حتى 2011.

ويبدو بأن عملية (السيوف الذهبية) لم تنجز مهمتها التي بدأتها في 12 يونيو 2012 بشكل كامل في تصفية أو ملاحقة عناصر وقيادات تنظيم القاعدة في اليمن آنذاك. وتبين ذلك بعد فترة زمنية قصيرة من انتهاء تلك الحملة، حيث تمكن التنظيم من إعادة لم شتاته وترتيب صفوفه سريعا، فقام بأعداد لا تحصى من العمليات الهجومية بسيارات مفخخة وهجمات مسلحة في مدينة (رداع)، بل أن التنظيم كان ينفذ أكثر من عمليتين و أحيانا ثلاث عمليات في اليوم الواحد في تلك الفترة، نذكر على سبيل المثال منها حادث استهداف مجلس العزاء بمدينة جعار في أبين، وحادث القصر الجمهوري في حضرموت يوم الانتخابات الرئاسية، وعملية ميدان السبعين، وحادث كلية الشرطة بصنعاء، ومعسكر النشيمة بشبوة، وحادثة مقر قيادة المنطقة الثانية بالمكلا، والهجوم على وزارة الدفاع ومستشفى (العرضي)، ناهيك عن عمليات الاغتيال لضباط الجيش والأمن والاستخبارات والرموز السياسية التي نفذت بدراجات نارية التي بلغت حسب بعض التقارير 183 عملية،معظمها في صنعاء وعدن وحضرموت.

لقد قُدرت عدد العمليات الهجومية المنفذة في اليمن خلال العامين 2012 و 2013 في اليمن حسب رصد مراكز دراسات محلية بأنها تزيد عن 400 عملية، وأما التقارير الحكومية فذكرت أن عدد العمليات الإرهابية في العام 2013 فقط بلغت 206 عمليات. وهذا العدد من العمليات يفوق نصف ما سجلته دولتا أفغانستان وباكستان مجتمعتين من عمليات خلال العام 2013 وهما اللتان تقعان في الترتيب الثاني والثالث على التوالي في مؤشر الإرهاب العالمي، حيث بلغت عدد العمليات الانتحارية في أفغانستان 65 عملية ، وفي باكستان 35 عملية، حسب ما ذكرت النشرة الصادرة عن معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي. وإذا تساءل احد ماذا عن الشقيقة سورية ؟ فإننا نوضح بأن الشقيقة سورية احتلت الترتيب الرابع عشر (14) خلال فترة إجراء تلك الدراسة الخاصة بمؤشر الإرهاب العالمي عام 2011 ، وخلال العام 2013 لم تسجل سوى 27 عملية انتحارية، بالرغم من الأزمة سياسية الخانقة التي تمر بها،وتعدد جماعات العنف السياسي "الإرهاب" الناشطة فيها.

هذا عن الأعوام 2012 و 2013، أما العام 2014 فيبدو بأنه يتشابه كثيرا في أحداثه مع العام 2012 ، وعلى الأقل هناك ملمحان أساسيان بينهما وهما: الملمح الأول : ازدياد نشاطات تنظيم القاعدة ، والملمح الثاني : النشاط العسكري المضاد له.

ففي الملمح الأول : والمتمثل بنشاطات تنظيم القاعدة في اليمن نجد بأنها لم تختلف في شدتها ونوعيتها كثيرا عن بدايات العام 2012. فمع بداية العام 2014 قام تنظيم القاعدة في اليمن بنشاط محموم نفذ فيه عديد من العمليات الانتحارية والهجومية، ونشير هنا إلى بعض منها والتي كانت فاتحتها في 16 يناير حيث تم تنفيذ أربع عمليات بين هجومية وانتحارية في يوم واحد، الأولى في فجر يوم الخميس من ذلك اليوم وكانت على مقر اللواء 119 في مديرية بيحان محافظة شبوة ، والثانية فنفذت في وقت متأخر قليلا من فجر العملية الأولى عبر شاب يرتدي زياً عسكرياً يحمل حزاماً ناسفاً أمام محكمة (رداع) ، والثالثة فتم تنفيذها عبر سيارة مفخخة على أحد مواقع الجيش بمحافظة البيضاء أسفر عن قتل أكثر من 20 قتيلاً ، وأخيرا العملية الرابعة وتم فيها اغتيال مدير جهاز الأمن السياسي في مديرية (البريقة) محافظة عدن، وفي 27 يناير نفذت خمس عمليات أخرى في نفس اليوم أيضا في مدن كريتر والمنصورة وخورمكسر وشبام حضرموت ومنطقة (أحور) في أبين ، وفي 5 فبراير وقع هجوم على نقطة عسكرية في منطقة الرضوم الساحلية في شبوة،وفي 13 فبراير تم الهجوم على السجن المركزي بصنعاء،وفي 18 فبراير الهجوم على ناقلة تحمل مواد غذائية للواء 33 مدرع أسفرت عن استشهاد 7 جنود واختطاف 13 آخرين، وفي 11 مارس الهجوم على مركز قيادة اللواء الثاني مشاة جبلي في شبوة، وفي 18 مارس الهجوم على مبنى الاستخبارات العسكرية في لحج ، وفي 24مارس الهجوم على نقطة (المضي) قتل فيها 20 فردا من القوات المسلحة ، وفي 2 أبريل تم تنفيذ هجوم على المنطقة الرابعة بمدينة (التواهي). وأحصت بعض المدونات لصحفيين ومتابعين يمنيين في هذا الشأن عدد العمليات التي نفذها تنظيم القاعدة في اليمن خلال الأربعة الأشهر الأولى من العام 2014 بما يزيد عن 40 عملية هجومية. ومن ناحية أخرى نفذت عديد من العمليات المضادة ضد أفراد وقيادات تنظيم القاعدة في اليمن خلال هذه الفترة، والتي اقتصرت على الطائرات بدون طيار في معظمها، ولعل أشهرها العملية الأخيرة التي راح ضحيتها نحو 37 فردا من التنظيم في منطقة المحفد بمحافظة أبين جنوب اليمن في 4 مايو 2014.

وإلى هنا وقبل تناول الملمح الثاني الأساسي بين عامي 2012 و 2014 والمتمثل بالنشاط العسكري الحكومي المضاد لتنظيم القاعدة في اليمن، يمكننا تأكيد الإجابة على تساؤلاتنا التي طرحناها أعلاه وهي: أين سيقع ترتيب اليمن بين الدول الأكثر تأثرا بالإرهاب في مؤشر الإرهاب العالمي خلال الأعوام من 2012 حتى 2014؟ وهل يمكن أن تحتل اليمن المرتبة الأولى فيه ؟ بأنه نعم يمكن أن تتصدر اليمن قائمة الدول في مؤشر الإرهاب العالمي القادم خلال الفترة بين عامي 2012 حتى 2014. وما أعداد العمليات الانتحارية والهجومية وأعداد الضحايا الذين قضوا في اليمن خلال فترة الأربعة الأشهر الأولى فقط من العام 2014 ، إلا تأكيدا على إمكانية أن تتصدر اليمن قائمة الدول في مؤشر الإرهاب العالمي القادم ، باستثناء دولة العراق نتيجة لأوضاعه الخاصة الناتجة من تداعيات الاحتلال الأمريكي ، فضلا عن أن الدول التي تحتل الترتيب الثاني والثالث والرابع وهي أفغانستان وباكستان والهند على التوالي لم يُسجل فيها هذا العدد من العمليات والضحايا منذ بداية العام 2012 وحتى الآن.

وأما الملمح الثاني الأساسي بين عامي 2012 و 2014 فيتمثل بالنشاط العسكري المضاد لتنظيم القاعدة في اليمن. فكما هو الحال في عام 2012 حينما نفذت القوات المسلحة حملتها العسكرية التي عُرفت بـ (السيوف الذهبية) في محافظة أبين وأجزاء من محافظتي شبوة والبيضاء بهدف تطهيرها من عناصر تنظيم القاعدة وإعادة سيطرة الدولة عليها، بعد أن طغوا فيها بأفعالهم وعملياتهم الدموية العديدة ضد المؤسسات العسكرية والمصالح الاقتصادية واتساع رقعة انتشارهم واحتلالهم للمدن وإعلانها ولايات إسلامية تابعة لهم، والعمل على فرض إرادتهم بالقوة على النظام السياسي والمجتمع، نشاهد اليوم ولنفس الأسباب، قيام حملة عسكرية جديدة – تبدو جادة وعلى قدر جيد من الجاهزية ودون مسمى هذه المرة - أعلنت عن نفسها في أوائل شهر مايو الحالي ولا تزال مستمرة حتى الآن ضد عناصر تنظيم القاعدة في اليمن - الذين ضاق من أفعالهم وانشطتهم الدموية المتزايدة السلطة السياسية والمجتمع معا - لتحقيق نفس أهداف الحملة السابقة وفي المناطق ذاتها.

أن قيام حملة عسكرية جديدة ضد تنظيم القاعدة في اليمن هو مؤشر على استفحال أمر هذا التنظيم مرة أخرى،وعلى تزايد خطورته على أمن واستقرار البلد، وأصبح مصدر ضرر بسمعتها وبمصالحها أكثر من الفترة السابقة.

واللافت للنظر أن هذه الحملة تحظى بتأييد شعبي وسياسي واسع لم تحظ به الحملة السابقة، والآمال المعقودة عليها كبيرة ليس بتخليص البلد من هذه الظاهرة ولكن على الأقل بمحاصرتها للحد من مخاطرها وأضرارها. وأجدها فرصة هنا لأحيي أفراد وقيادات قواتنا المسلحة واللجان الشعبية على شجاعتهم وتضحياتهم في سبيل الشعب والوطن، كما أجدها فرصة أيضا لأنقل لهم بعضاً من الهواجس التي تعتريني كما هي الحال لدى الكثير من أبناء هذا الشعب، وهي حول مصير هذه الحملة العسكرية والشعبية رغم النجاحات الميدانية التي تحققها حتى الآن، فهل ستكون كسابقتها ولن تنجز مهمتها حتى النهاية؟ هل ستتمكن من تحقيق أهدافها كاملة؟ وهل الحملات والعمليات العسكرية كفيلة أو كافية في مكافحة ظاهرة الإرهاب في بلادنا ؟ وماذا عن مرحلة ما بعد الحسم العسكري والميداني؟ هل هناك خطط إستراتيجية جديدة على المستوى الأمني والاجتماعي للحفاظ على هذه النجاحات؟

وفي الحقيقة أن هناك مخاوف من عدم إنجاز هذه الحملة لمهمتها حتى النهاية، وأن تحقق أهدافها كاملة، وأن تحافظ على هذا الانجاز، ذلك أنه لدينا خبرة سابقة من حملة 2012 التي لم تنجز مهمتها بشكل كامل ولم تحافظ على ما أنجزته آنذاك ، الأمر الذي أدى إلى عودة عناصر هذا التنظيم وقياداته وبصورة أقوى مما كان عليه، حتى أنه احتل المرتبة السادسة من بين المنظمات الإرهابية السبع الأكثر فتكا في العالم حسب التقرير الذي أعده ونشره الائتلاف الوطني لدراسات الإرهاب ومكافحة النشاطات الإرهابية الأمريكي في العام 2012.

وهنا فإن خشيتي من عدم نجاح حملة 2014العسكرية لا تقارن مع خشيتي أن يؤدي ذلك إلى خروج تنظيم القاعدة في اليمن بصورة أقوى مما خرج بها بعد حملة 2012، فهذه المرة قد يصبح أكثر عنفا وعدوانية وانتقاما من السابق، وربما يقوم بعمليات أبشع من عمليات (دوفس والسبعين ومستشفى العرضي)، ويومها علينا أن لا نتعجب أن يحتل تنظيم القاعدة في اليمن المرتبة الأولى من بين المنظمات الإرهابية السبع الأكثر فتكا في العالم، وبالتالي أن تتصدر اليمن المرتبة الأولى من بين 158دولة في مؤشر الدول الأكثر تضررا من الإرهاب.

كلية الآداب جامعة الحديدة
Email : anahor12@yahoo.com
Tel : 733262354